ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلة أبعاد
مجلد 08، العدد 02، 2021

عبد الرحمن الأخضري: سيرة بيبليوغرافية

Abd al-Rahman Al-Akhdari - A Bio-bibliography

بقدار الطاهر* [1]
tahar.bakaddar@univ-mascara.dz
[1] جامعة مصطفى سطنبولي معسكر – الجزائر

شريف الدين بن دوبه [2]
charif.bendouba@univ-saida.dz
[2] جامعة سعيدة – الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2021/04/23	تاريخ القبول: 2021/05/21	تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص

عبد الرحمن الأخضري من رجالات الفكر والثقافة في الجزائر وأحد أبرز العلماء الأعلام في القرن العاشر الهجري خلال العهد العثماني عرف الأخضري بغزارة علمه وتعدد تآليفه، ومساهمة منا في إبراز شخصيته تعرضنا لأنصع صفحة من صفحات الثقافة الجزائرية من خلال الأخضري، حياته ونشأته وعصره وثقافته وآثاره العلمية والأدبية، ولا تزال هذه الشخصية العلمية الفريدة في عصرها لم تلق الاهتمام المستحق، فمؤلفات الأخضري مازالت مخطوطة تنتظر التحقيق، وماهو مطبوعا ينتظر الدراسة العلمية، فنسعى من خلال هذه الورقة رفع اللثام عن هذه الشخصية حتى يُقبل على دراستها أهل الاختصاص، والمهتمين بالتراث الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الأخضري، التحقيق، العهد العثماني، البلاغة، التصوف، التأليف، الزوايا

Abstract : Abd al-Rahman al-Akhdari was one of the men of thought and culture in Algeria and one of the most eminent scholars of the 10th century AH in the Ottoman era, al-Akhdari was known for his knowledge and multiplicity of his writings, and our contribution to the enhancement of his personality has exposed us to the most brilliant page of Algerian culture through al-Akhdari and its literary effects, his life and his scientific culture, his life and his literary effects. This unique scientific personality in his time has still not received the attention it deserved, for the books of Al-Akhdari are still with a manuscript awaiting investigation, and what is printed awaits a scientific study, we therefore seek through this article to lift the veil on this personnalit

Keywords: al-Akhdari; Sufism; zaouia; Ottoman period; Rhetoric

* المؤلف المراسل: tahar.bakaddar@univ-mascara.dz

مقدمة:

الرجوع إلى التراث الجزائري خلال الفترة العثمانية يستوقف الباحثين والمهتمين، خاصة وأن هذه الفترة التاريخية تضم تراثا زاخرا جسده العلماء الأعلام، وأحد هؤلاء الحاملين لواء الثقافة الجزائرية خلال القرن العاشر هو علّامة عصره الشيخ عبد الرحمن الأخضري.

فبالنظر الى مؤلفاته نكشف معارف متنوعة، فمن البلاغة للفقه للعقيدة للتصوف، ومن المنطق للحساب، ومعظمها أراجيز ومنظومات، شرحها أغلبها بنفسه، وقد شكّلت فكره وثقافته، وطبعت عصره وأثرت على معاصريه فتلقّاها بعضهم بالشرح ووضع الحواشي. بعد الاطلاع على هذا الموروث المعرفي المتواجد في مختلف التصانيف لم نجد بدّا من أن نجدَّ ونجتهد ما أمكننا الجدّ والاجتهاد باحثين عن الجوانب المتناثرة بين أسفار التاريخ والمتواترة في وقفات أصحاب التراجم وأصحاب الرحلات عبر هذه الرحلة المعرفية التي تكشف عن خبايا عن هذا العلَم من زوايا مختلفة، عن حياته وعصرهه من المبدأ إلى المنتهى وما تخللها من أحداث سياسية شكلت الطابع الاجتماعي والعلمي

1 - قراءة في حياة الأخضري

1 . 1 مولده ونشأته

أجمعت المصادر على أنه ولد في بنطيوس ونشأ بها وهي قرية من قرى بسكرة وتقع في الجنوب الغربي لبسكرة، وتبعد عنها حوالي أربعة وأربعين كلم، وبسكرة إليها ياقوت الحموي في معجمه[1] وعرفها بقوله "بلدة بالمغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحتان، وبينها وبين طبنة[2]مرحلة"، ووصفها أبو عبيدة البكري بكثرة بساتينها ونخيلها، مشيرا إلى أهم من استوطنها[3].

ولد سنة (920هـ – 1514م) على أرجح الروايات، وهناك اختلاف وتضارب في آراء مترجميه، إذ نجد بعضهم أجمعوا على أن ولادته كانت (هـ918-1512م) وهذا ما أورده الزركلي[4] والشطوطي"[1] ورضا كحالة [2] ومولاي بلحميسي[3] ،وهي السنة التي استدركها

([1]) ياقوت الحموي(ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر بيروت 1984 . 1 /422.

([2]) وهي بلدة في طرف إفريقيا مما يلي المغرب على ضفة الزاب، فتحها موسى بن نصير. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان:4 /20.

([3]) انظر البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، من كتاب المسالك والممالك: 52.

([4]) خير الدين الزركلي (ت1976م) ،الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الثانية 1969 .108/4

عادل نويهض في آخر معجمه بعدما أرخ لمولده في بداية معجمه على أنه ولد سنة (910هـ-1504م)[4].

في حين أن مصادر أخرى لم تطلعنا على تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، ولم تشر بدقة لذلك، كما في تعريف الخلف، ودائرة المعارف، وشجرة النورالزكية، ومعجم سركيس، واكتفت هذه المصادر بالإشارة إلى أنه من أعلام القرن العاشر الهجري، وهذا نظرا للغموض الذي أحاط بشخصية الأخضري، ففي دائرة المعارف "مؤلف عربي لا نعرف عن حياته شيئا"[5] ويقول الحفناوي في تعريف الخلف "لم أطلع على ترجمته"[6].

والخلاف ليس كبيرا في تاريخ ميلاده، وبالرجوع إلى منظومته "السلم المرونق" تأكدت لنا الرواية الأصح على تاريخ ميلاده، إذ يقول في آخر نظمه هذا[7].

وَلِبَنِي إِحْدَى وعشرينَ سنهْ ** معذرةً مقبولةً مستحسنهْ
لاسيما في عـــاشر القرونِ ** ذي الجهل والفساد والفتونِ
وكـــــان في أوائل المحرمِ ** تأليف هذا الرجز المنظمِ
من سنة إحـــدى وأربعينَ ** من بعد تسعةٍ من المئينَ

نشأ الأخضري نشأة علمية، وشب في بيت علم وصلاح، وترعرع مقْبلا على العلم، أحاطه والده محمد الصغيّر بالرعاية، واهتم بتعليمه وتربيته، فألّف السراج في الفلَك وهو ابن تسع عشرة سنة، والدرّة البيضاء في الحساب وهو ابن عشرين سنة، والسُلّم المرونق في المنطق وهو ابن إحدى وعشرين سنة، يقول سركيس في معجمه "عالمٌ صالح زاهدٌ ورع ذو قَدَمٍ راسخ في المعقول والمنقول"[8].

([1]) محمد الشطوطي، الشيخ عبد الرحمن الأخضري الكاشف المنطقي، دار الرسالة للكتاب الجزائر 2001. :65.

([2]) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة،(ت1987م) جمع وأخرج مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة بيروت 1993. 2 /119.

([3]) مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981 :122.

([4])عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت، الطبعة الثالثة 1983 :361.

([5]) محمد ثابت الفندي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، 514/1.

([6]) محمد الحفناوي (ت1943م) تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية 1985.:67/1.

([7]) انظر الأخضري(ت983هـ)، شرح السلم المرونق في علم المنطق (مع إيضاح المبهم للدمنهوري)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر. 38.

([8]) يوسف إليان سركيس(ت1932م)،معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس مصر 1928. 1 /406.

أرسله والده إلى الزيتونة ليستزيد المعرفة، ثم عاد إلى بنطيوس وبعدها سافر إلى قسنطينة، فالتقى بعلمائها ثم رجع إلى بنطيوس واستقر بها وجعل من الزاوية التي أسسها جدّه "محمد بن عامر" مدرسة علمية اعتكف فيها على التدريس وتلقين العلم للطلبة وتخريج العلماء، فكانت مقصدا لطلبة العلم . كما نشأ الأخضري زاهداً عاكفا على العبادة والخلوة، فكان ينتقل من حين إلى آخر إلى الجبال القريبة من بلدته كجبل "أحمر حدو" الذي هو جزء من سلسلة جبال الأوراس المشرفة على الصحراء، وإلى جبل عياض وهو أيضا من جبال الأوراس القريب من جبال الحضنة، كما كان يتخذ من الهضاب العليا بسطيف مكانا للانعزال والخلوة، وتذكر بعض المصادر أن خلوته وعزلته كان لها الفضل وسيلة فاعلة في تأليفه لبعض مصنفاته، فقد تم نظمه للدرة البيضاء بجبل أحمر حدو، وأتم شرح علم البيان من كتابه الجوهر المكنون في جبل عياض، يقول في شرحه "وكان الفراغ من هذا الفن عشية الجمعة المباركة آخر يوم من ربيع الثاني عام اثنين وخمسين وتسعمائة ببعض بلاد جبل عياض". والأخضري سليل أسرة عريقة اشتغلت بالعلم، فجدّه "محمد بن عامر" كان فقيها جمع عملا في الفتاوي، وكان والده "محمد الصغيّر" من علماء عصره في الفقه والنحو والتصوف، ومن الأوائل الذين شرحوا ألفية ابن مالك، كما يشير أبو قاسم سعد الله[1]، ويشار إلى أن له شرحا على ألفية ابن معطي الزواوي، وله أيضا حاشية على مختصر خليل، وألف أيضا في التصوف يصدّ فيه المنحرفين عن منهج الشرع من الجاحلة كما سماهم .

أما والدته فهي أيضا من أسرة عريقة وتسمى حَدّة من قرية تيفلفال بالأوراس، وعمُّه أيضا كان من أشهر علماء طولقة، واسمه إبراهيم بن محمد بن عامر الأخضري المتوفي سنة 879 هـ[2].

ينسبه البعض إلى الجبل الأخضر الواقع في ليبيا، كما ورد في حاشيته المنياوي على شرح الدمنهوري إذ يقول "الأخضري نسبة إلى الأخضر جبل بالمغرب على ما ذكر لي بعض الطلبة المغاربة"[3]،أي المغرب الكبير الذي يضم أقطار شمال إفريقيا، وهي الرواية

([1]) انظر أبو القاسم سعد الله (ت2013م)، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1998. 2 /162، ومحمد بن عبد الكريم على هامش تحقيقه للتحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن ميمون الجزائري لمحمد بن ميمون الجزائري، (ق 12هـ)،، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الثانية. :14.

([2]) انظر محمد بن محمد مخلوف (ت1941م) شجرة النور الزكية، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى 1349هـ. 259.

([3]) الشيخ مخلوف المنياوي حاشية على شرح الجوهر المكنون للدمنهوري، (ت1878م)، مطبعة التقدم العلمية مصر 1324هـ.7.

نفسها التي يؤكدها نور الدين عبد القادر بقوله "قيل هو نسبة إلى الجبل الأخضر بطرابلس لأن أسلافه أقاموا به"[1]، وكلاهما لم يقف على حقيقة التسمية أو يتحقق منها بااعتماد هما على الرواية الشفوية. أما عبد الرحمان الجيلالي يُرجع نسبه إلى بطن من بطون الدواودة من أولاد الرياح المنتمين إلى الأخضر بن عامر بن رياح[2]، وتبعه في ذلك محمد الطمار[3]، وإلى هذه القبيلة العربية القديمة أشار ابن خلدون في تاريخه على أنها بطن من عامر بن صعصعة من قيس بن عيلان من العدنانية، وهم بنو رياح بن رويبة بن عبد الله بن هلال[4]، ويشير صاحب جمهرة أنساب العرب على أن بني هلال استوطنوا إفريقيا[5]، ويؤكد ذلك ما أورده رضا كحالة في معجم القبائل: "كانت مساكنهم في إفريقيا بنواحي قسنطينة والمسيلة والزاب، ومن بطونهم مرداس بن رياح وسعيد بن رياح والأخضر بن عامر بن رياح"[6]، ومهما يكن فالأخضري يترجم لنفسه بقوله "هو تعريف –أي لقب الأخضري- لنسبنا على ما اشتهر على ألسنة الناس وليس كذلك، بل المتواتر عن أعالي أسلافنا وأسلافهم أن نسبنا للعباس بن مرداس السلمي"[7]. وهذا ما أثبته محمد الشطوطي بقوله: "أنه من قبيلة بني سليم من سلالة أحد فحول الناس، أسد الحرب العباس بن مرداس الصحابي الجليل"[8]، وهذا كله نقلا على رسالة العقد الجوهري لأبي محمد بن داود قاضي سيدي عقبة.

2 . 2 : وفاته

السنة التي توفي فيها الأخضري بدت غامضة شيئا ما عند أكثر المترجمين له، حتى إن بعضهم لم يشر إليها، واكتفى بأنه توفي في القرن العاشر الهجري[9]. وعلى هذا نلتمس

([1]) نور الدين عبد القادر(ت1981م)، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب جامعة الجزائر مطبعة البعث قسنطينة 1965. 204.

([2])، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي(2010 م)، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة بيروت الطبعة السادسة 1983. 3 /80.

([3]) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981. 291.

([4])عبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ) تاريخ ابن خلدون " العبر وديوان المبتدأ والخبر"، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر 2010 . 2/ 620.

([5]) جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي(ت456هـ)، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت 1998. 275.

([6]) رضا كحالة معجم قبائل العرب القديمة والحديثة.:2 /457.

([7]) الأخضري شرح السلم المرونق في علم المنطق:37.

([8]) محمد الشطوطي الشيخ عبد الرحمن الأخضري "الكاشف والمنطقي":65.

([9]) إليان سركيس معجم المطبوعات العربية والمعربة:1 /406.

تبايناً في تحديد سنة الوفاة في أكثر المصادر، والراجح أنه توفي سنة (983هـ – 1575م)، فحاجي خليفة في كشف الظنون والزركلي في الأعلام ومحمد الشطوطي في كتابه عبد الرحمن الأخضري الكاشف والمنطقي يثبتون هذه السنة تاريخا لوفاته، وهي السنة نفسها التي رجحها عادل نويهض فيما استدركه من كتابه أعلام الجزائر بعدما ثبت له خطؤه في السنة التي ذكرها سابقا[1]. أما عبد الرحمن الجيلالي فيشير إلى أن السنة التي توفي هي سنة (982هـ- 1574م)، ويردُّ على ما جاء في معجم "الأعلام" للزركلي ما نصّه "وفي كتاب الأعلام للزركلي يقول إن تاريخ ميلاد الأخضري كان 918هـ ووفاته كانت سنة 983هـ والصواب هو ما ذكرنا"[2]. وهي السنة نفسها التي أوردها مولاي بلحميسي[3]. في حين أن أبا القاسم سعد الله يرى أن وفاة الأخضري كانت سنة (953هـ- 1546م)[4] ولعله اعتمد في ذلك على نضجه العلمي المبكر، وأن أكثر تآليفه التي اطلع عليها فيما يبدوا كانت من سنة 940هـ إلى سنة 950هـ، بداية بمنظومته "السراج في الهيئة" المؤلف سنة 940هـ، ونهاية بـ"الجوهر المكنون" المؤلف سنة 950هـ، وأنه على هذا عاش ثلاثا وثلاثين سنة فقط، غير أن أبا القاسم سعد الله يقف على محاضرة للشيخ المهدي البوعبدلي التي نشرتها مجلة الأصالة[5]، والتي رجّح فيها صاحب المقال أن الأخضري قد عاش إلى سنة 981هـ وهذا اعتمادا على نظم الأخضري للأجرومية "الدرة البهية" والتي جاء فيها:

تمّ بحمـــد الله ما قصدنا ** من نظم هذه التي أردنا
سميتها بالـــدرة البهيـــة ** فهْي لما في أصلها محوية
وكان في محـــــرم الحـرام ** بدءا واختتمنا لذا النظام
في عام إحدى وثمانين سنة ** من بعد تسعمائة مستحسنة

إن هذه الوثيقة المذكورة المتمثلة في نظم الأجرومية اعتمدها المهدي البوعبدلي واستبعد أن تكون سنة 953هـ هي السنة التي توفي فيها الأخضري بعدما أكد عليها سابقا، ويؤكد الشيخ المهدي البوعبدلي ذلك بقوله :"وفي هذه السنوات الأخيرة اكتشف

([1]) انظر معجم أعلام الجزائر:14 (سنة الوفاة 953هـ)، والمستدرك :361 (سنة الوفاة 983هـ).
([2]) تاريخ الجزائر العام:3 /81.
([3]) على هامش كتاب" الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني:122.
([4]) تاريخ الجزائر الثقافي:501/1 .
([5]) انظر مجلة الأصالة:25عدد 53.

أحد أفاضل علماء الزاب وثيقة تدل على أنه توفي سنة 981هـ، إذ عثر على تأليف له في نظم الأجرومية". وقد اطلع أبو القاسم سعد الله على هذا الاستدلال ويرى أنه استدلال ضعيف لأن البيت في رأيه قد يكون فيه تصحيف من النساخ بقراءة "إحدى وثمانين" بدل "إحدى وثلاثين"[1]. أما محمد بن عبد الكريم فعنده تضارب في تاريخ الوفاة، في مقدمة تحقيقه للتحفة المرضية [2] يذكر أن الأخضري توفي سنة 953هـ، بينما على هامش تحقيقه لكتاب فتح الإله ومنته[3] يذكر أنه توفي سنة 983هـ ورغم هذا التباين الواضح فالراجح أنه عاش إلى بداية الثمانين من القرن العاشر الهجري، وكانت وفاته سنة 983هـ أثناء تواجده بـ"كجَّال"[4]، ثم نقل جثمانه إلى مسقط رأسه بناء على وصيته التي أوصى بها تلاميذه أثناء مرضه ودفن – رحمه الله- جوار جدّه "محمد بن عامرّ ووالده "محمد الصغيّر" وأخيه " أحمد بن محمد الصغيّر" ولا يزال ضريحه قائما إلى الآن بزاوية جده بقرية "بنطيوس"[5]. وقبره كان مزار العلماء فزاره الحسين الورثيلاني إذ يقول في رحلته :" وقد زرت قبر الشيخ سيدي عبد الرحمن، وله تآليف كثيرة ومفيدة، وهو من العارفين بالله تعالى شرقا وغربا"[6]. وقد رغب في زيارته محمد بن عزوز البرجي تلميذه علي بن عمر الطولقي.

3 . قراءة في عصر الأخضري

1.3 عصره السياسي

عاش الأخضري عصرا سياسيا تميز بالاضطراب المستمر مع أواخر القرن التاسع الهجري وامتد إلى غاية القرن العاشر الهجري، فخلال هذه الفترة تفككت الدولة الموّحدية وظهرت نتيجة تفككها دول المغرب الثلاث، المرينيون والحفصيون والزيانيون، هذه الدويلات التي ظهرت على أنقاضها .فبعد عجز هذه الإمارات المحلية على صدّ الهجوم الإسباني، وتمكن الإسبان من إسقاط آخر قلعة في الأندلس بسقوط غرناطة (897هـ - 1492 م)، ومطاردتهم للمسلمين الفارّين لسواحل شمال إفريقيا استنجد سليم التومي

(1) على هامش تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله:1 /500.
(2) انظر محمد بن عبد الكريم في مقدمة تحقيقه للتحفة المرضية لمحمد بن ميمون الجزائري :69.
(3) انظر محمد بن عبد الكريم على هامش تحقيقه لفتح الإله ومنته لمحمد أبو راس المعسكري:128.
(4) وهي حاليا بلدة تابعة لدائرة راس الماء ولاية سطيف .
(5) وقد زرت قبره ببنطيوس، وقد بنيت على قبره قبة شأن كل ولي صالح، وحول ضريحه مسجد يحمل اسمه.
(6) نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" الرحلة الورثيلانية" :87.

زعيم إمارة الثعالبة بالأخوين بربروس "بابا عروج وخير الدين". حين بدأ النزاع يشتد بين هذه الدويلات الثلاث مع أوائل القرن العاشر الهجري، أضعفها وقويت شوكة الاستعمار الإسباني، وهوجمت السواحل الجزائرية مع بداية (911هـ- 1505م)، مستغلة الاضطراب الحاصل في الشمال الإفريقي، وضعف حكام المغرب العربي نظرا للصراع السياسي القائم. ونتيجة للتنظيم الذي عرفه الأتراك في الجزائر، بدأ عصرهم بشكل منظم بتعيين بيلربايات الجزائر بداية من سنة (950هـ- 1544م) فعين حسن باشا أول بيلرباي على الجزائر، فرسم حدود الجزائر التركية، وأحدث مؤسسات إدارية جديدة، غير أنه غادر الجزائر مستخلفا بعده حسن آغا مؤقتا ليتم تعيين بيلرباي صالح رايس سنة (959هـ- 1592م) ثم حسن قورصو (963هـ- 1556م)، ليعود مرة حسن باشا خير الدين ثانية (964هـ- 1557م). وبهذا الشكل تستمر الأحداث في الجزائر مع البيلربايات. ومع حكمهم ظهرت الأطماع الفرنسية أيام ملك فرنسا "شارل التاسع" على أيام البيلرباي أحمد عراب سنة (979هـ- 1552م)، فأقامت فرنسا محارس تجارية بالقالة وعلى معظم سواحل الجزائر، وباستدعاء السلطان التركي الغازي مروخان الثالث لآخر بيلرباي سنة (993هـ- 1585م) ووضع بدله محمد عتيق مؤقتا إلى سنة 995هـ وبهذا انتهى عصر البيلربايات بالجزائر وبدأ عصر الباشاوات سنة 1587هـ- 995م.، وبعد حروب طاحنة معارك متواصلة بين العثمانيين والإسبان من سنة (918هـ - 950هـ) أي سنة(1512م- 1544م) تم من خلالها تصفية الاحتلال الإسباني في معظم المدن الجزائرية، فحرروا بذلك بجاية وجيجل والجزائر ومتيجة وملیانة، واتخذوا من مدينة الجزائر عاصمة لهم بعدما كانت عاصمة لإمارة الثعالبة بزعامة الشيخ سليم التومي، ومن ثم أصبحت منطلقا للاستلاء على تلمسان التي كانت حينها ولا تزال في أيدي الزيانيين، وعلى قسنطينة التي كانت لا تزال آنذاك في أيدي الحفصيين[1] . وبهذا شهد مطلع القرن العاشر سقوط دول المغرب العربي وصعود الحكم العثماني مكانهما، فيكون بذلك قد انتهى الحكم الحفصي من تونس وشرقي الجزائر وطرابلس، وانتهى حكم بني زيان من غرب الجزائر، كما سقطت إمارة الثعالبة من مدينة الجزائر وما حولها، إلا في المغرب الأقصى حيث حلّ السعديون مكان الوطاسين، وظل المغرب الأقصى خارجا عن النفوذ السياسي العثماني. ولم يحن منتصف القرن العاشر حتى أصبحت الجزائر الحالية في

(1) تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، محمد خير فارس: 24.

أيدي العثمانيين وارتسمت خريطة القطر الجزائري كما هو عليه اليوم .أما مدينة بسكرة موطن الأخضري فقد وصلها الأتراك أيام حسن آغا التي دخلها سنة 949هـ – 1542م، وخضعت لمدينة الجزائر في عهد صالح رايس سنة 959هـ- 1552م[1].

وكان على رأي الكثير من المؤرخين أن العثمانيين قد أساءوا التصرف في ممارسة السلطة، وأنهم استبدوا بالحكم[2]، غير أنهم لا ينكرون عليهم حمايتهم للجزائر من السيطرة المسيحية طيلة ثلاثة قرون[3]، ومما لا شك فيه أن هذه الأحداث كان لها الأثر الكبير على الصعيدين الاجتماعي والثقافي في معظم الحواضر والمدن الجزائرية. والتي لا شك كان لها انعكاس كبير على حياة عبد الرحمن الأخضري الاجتماعية والعلمية.

2.3 عصره الاجتماعي:

من أبرز ميزات هذه الفترة من حياة الأخضري كثرة الطرق الصوفية التي لا تستمد أصولها من الكتاب والسنَّة. فالتصوف المنحرف كان لها الأثر في انهيار المجتمع، وضياع العلم وغياب العقل، مما أدى إلى ظهور ثورة فكرية وعقلية قادها بعض العلماء الذين انتصروا للتصوف الحقيقي، وسخَّروا جهودهم في محاربة الدَّجل والشعوذة التي مارسها الكثير من الدجاجلة باسم التصوف، وقد بدأت هذه الثورة- قبل الأخضري- مع محمد بن عبد الكريم المغيلي متمثلة في تأليفه المسمى " تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين" وفي كتابه تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين" [4] كما أشار إلى هذا الجو من الانحراف في أرجوزته مع شرحه لها المسماة" فتح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب"[5].وتواصلت هذه الثورة مع الأخضري في معرفته بحقيقة الانحراف الصوفي، وما يسفر عنه من ضمور للعقل والفكر، وهبوط لمستوى التعليم. وانتشار الخرافة والبدع وسيادة الجهل في المجتمع،مما دفع به إلى نظم القدسية، والتي تعدُّ من أهم منظوماته التي ثار فيها على هؤلاء، وحارب من خلالها البدع التي انتشرت

([1]) على هامش كتاب الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني لمولاي بلحميسي:103.

([2]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. 1 /141.

([3]) دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر لعبد الحميد بن أشنهو: 223.

([4]) انظر محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ)، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار بن حزم للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1994. 36.

([5]) تعرض يحي بوعزيز إلى دراسة شاملة عن عبد الكريم المغيلي، مع ذكر مؤلفاته في كتابه مدينة تلمسان عاصمة الغرب الأوسط انظر :218 إلى 235.

في عصره، وبيَّن من خلالها أيضا التصوف الحقيقي القائم على المنهج الصحيح طبقا لما ورد في كتاب الله وسنّة نبيه.يقول في مطلع القدسية:

يقول راجي رحمة المقتدر ** المذنب العبد الذليل الأخضري
بحمد رب العالمين أبتدي ** ثم صـــــلاته على محمد

ويقول في معرض حديثه عن الصوفية:

والرقص والصراخ والتصفيق ** عمداً بذكر الله لا يليق
وإنما المطلوب في الأذكار ** الذكر بالخشوع والوقار
فقد رأينا فرقةً إن ذكروا ** تَبَدَّعوا وربما قد كفروا
وصنعوا في الذكر صنعاً منكراً * *صعباً فجاهدهم جهاداً أكبرا

وتستمر هذه الثورة مع عبد الكريم الفكّون الذي انتقد هو الآخر الانحراف الصوفي، حيث يقول في مقدمة كتابه:" أما بعد فلما رأيت الزمان بأهله تعثّر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسّر، وسحائب الجهل قد أطلّت، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيسا والعالم في منزلة يدعى من أجلها خسيسا"[1]. ولا يكتفي الفكّون بتلك الحملات في تحقير الأدعياء من المتصوفة، بل يستمر في توضيح أثر هذه الدروشة في نفسيته المتأثرة بما يحدث في عصره فيقول:" كل ذلك والقلب مني يتقطع غيرة على حزب الله العلماء، أن يُنسَب جماعة الجهلة المعاندين الضّالين المضلين لهم، أو يُذكروا في معارضهم، وغيرة على جناب السادة الأولياء الصوفية أن يكون أراذل العامة وأنذال الحمقى المغرورين أن يَتسَمَّوْا بأسمائهم، او يُظنَّ بهم اللحوق بآثارهم"[2]. وقد تأثر الفكّون بثورة الأخضري على الدجل من خلال ما جاء في قصيدته "القدسية" وقد استشهد الفكّون ببعض أبياته في أكثر من موضع [3]، ومنها استوحى تأليفه " منشور الهداية".

ولعلّ هذه الحملات التي قادها كلٌّ من الأخضري وعبد الكريم الفكّون، وقبلهما عبد الكريم المغيلي هي استمرار لمنهج الشيخ أحمد زروق في ضرورة الجمع بين العلم والتصوف. وكل من الأخضري والفكّون يلتزم بالتفسير القائم على مبادئ الطريقة

([1]) عبد الكريم بن محمد الفكون(ت1073 هـ)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى الولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى .31.

([2]) المصدر السابق. 32

([3]) المصدر السابق :122-124-131-139.

الزروقية[1]، إذ اعتبره الأخضري شيخا له مع أنه لم يأخذ عنه أو تلقى عليه لأنه لم يعاصره، فهو شيخ لوالده " الشيخ محمد الصغيّر وشيخ لشيخه " محمد بن علي الخروبي. وقد أشاد الأخضري بالشيخ أحمد زروق في قصيدته القدسية[2] فيقول:

ففي كتاب شيخنا الزرّوق ** عجائب فائقة الرتوق

كما أشاد به الفكّون واعتبره شيخا له ونقل عنه أقوالا، فيقول في منشور الهداية: "قال أحمد زروق، لقد تتبعت بفكري للطرق الاصلاحية الموجودة بأيدي الناس الآن، فلم أجد عند أهلها نفحة ولا نورا ولا حقيقة ولا علما ولا ذوقا ولا فهما جاريا على القياس الأول، إلا لذة نفسانية غالبها من استشعار الرياسة، والالتذاذ بالامتياز، والاختصاص بالنسبة ونحوها"[2].ثم يذكر الفكّون رسالة مطوّلة قدّم من خلالها أحمد زروق وصايا وتوجيهات قيّمة لبعض إخوانه[3]، وعلّق عليها الفكّون بإعجاب بقوله:" لله درُّ ما أعلَمه بالطريقة، وما أتبعَه بالسنة، وهذه الوصية الجامعة جمعت لمباني الطريقة والحقيقة فهي قائمة مقام الشيخ لمن تلقّاها وعضّ عليها بالنواجذ"[4].

و نعود للأخضري حيث نجده يصور جانبا مهما في مجتمعه متمثلا في الفتن التي انتشرت، فراح يصور بصدق حال مجتمعه آنذاك، إذ ركز على كثرة الفتن وانتشار الفساد وطغيان الانحراف في المعتقدات الدينية عند بعض المنتسبين للتصوف الإسلامي، ونجده يذكر ذلك في آخر نظمه "السلم المرونق"إذ يقول:

ولبني إحدى وعشرين سنة ** معــذرة مقبولة مستحسنة
لاسيما في عــاشر القرون ** ذي الجهل والفساد والفتون

ويقول في شرحه لنظم السلّم "وعاشر القرون هو قرننا هذا الذي ظهرت فيه الفتن، واشتد فيه البأس، وقوي فيه النحس، واشتد فيه طغيان الكافرين، وانتشر فيع ظلم الظالمين، وكثرت فيه شرار الخلائق، ولم يبق إلا آثار الطرائق، والناس فيه ساهون ،مهطعون لحطام الدنيا، معرضون عن الدرجات العليا مسابقون فيه إلى هواهم ليوقعهم في أهوى المهاوي، وأسوا المساوي، وليس لهم تفكر في هادم اللذات، ولا تأهب

(1) إن هذه المبادئ استمدها الأخضري من كتابيه " البدع " و" قواعد التصوف".
(2) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، :143.
(3) المصدر السابق . 194-195.
(4) المصدر السابق . 197.

إلى ما بعد الممات، كأنهم في الدنيا مخلّدون، وهم للفناء مشاهدون، يخدم الواحد طول عمره على منفعة ساعة، ويضيّع منفعة الأبد فيالها من إضاعة "[1].إلى أن يقول واصفا الفترة التي عاشها :" أعنّا على هذا الزمن الصعب الذي كسفت فيه شموس الحق، وشاع فيه ظلام الباطل بين الخلق، وسدّ الأفق دخان الهوى، وانتشر في الأقاليم واستوى، فلا حرص ولا حزن إلا على الدنيا، ترى الواحد إذا ضيع مثقال حبّة تأسف عليه وتحيّر، وتكدّر قلبه وتغيّر، ويضيّع من خير الآخرة ما لا نسبة للدنيا بحذافيرها، فلا يخطر له ذلك ببال، وما ذلك إلا علامة الخذلان والضلال، ومن علامات الخسران والنكال"[2]. كما كان شغله الشاغل تعليم الناس وتهذيبهم، ورفع الجهل عنهم، ومحاربة الخرافة والبدع، وترى ذلك جليّا في آخر لاميته التي مدح فيها الرسول (ص):

هذا زمن الفســاق أتى ** وزمان الغفلة والخطل
هذا زمـن قد غاص به ** ينبوع الحق ولم يسل
فنجوم الدين لقـد أفلوا ** من بعد ضياء مكتمل
وظلام الباطــل منتشر ** عمّ الآفاق ولم يزل
ومعاصي الله قد انتشرت ** وبدت في الناس بلا خجل

ومن هنا ندرك دون شك أن الوضع التاريخي بما يحمله من ظروف سياسية واجتماعية كان له أثره البالغ على الحياة العلمية والثقافية في حياة الأخضري .

3. 3: عصره العلمي:

لم تكن للسلطة العثمانية سياسة واضحة اتجاه طرق التعليم، ولم تكن المداخيل تسخّر في نشر التعليم وترقيته، ولم تكن موجهة في تنمية الثقافة بقدر ما كانت تسخّر في أجور الجنود وجلب المعدّات الحربية، وأما معظم مداخيل التعليم كانت بفضل جهود الأفراد ومساهمة بعض المؤسسات الخيرية. من هنا ندرك أن الظروف التي مرّت بها الجزائر أثناء الفتح التركي لا تسمح بنمو وتطور الحياة الثقافية، وهذا لعدم توفر البيئة اللازمة والزمان الهادئ[3] فوجود الأتراك لم يكن له صداه الثقافي والعلمي والأدبي مثلما كان في الميدان الحربي كما ذكرنا. لكن وسط هذه الصورة المضطربة سياسياً ظهرت بعض المدن والحواضر التي كانت تشعّ بمراكزها العلمية ومساجدها ثقافة يتغذّى منها

(1) الأخضري شرح السلم: 38.
(2) المصدر السابق 38.
(3) تاريخ المغرب الكبير لرشيد الناضوري :49/1.

المجتمع عقليا وروحياً. فمعظمها أصبحت تعجُّ بالزوايا لما لها من أهمية في نشر التعليم وترسيخ الوعي، وكانت محجّة الطلبة يقصدونها لتحصيل العلم، ومن بين هذه المراكز العلمية زاوية عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية أولاد الفكّون، وزاوية بن نعمون، وزاوية الأخضري، ثم إن هذه المؤسسات التعليمية كان الهدف التعليم منها دينيا، تمثّلت مواده في تحفيظ القرآن والحديث، وتحفيظ متون الفقه وأصوله، ودراسة علم التفسير وعلم القراءات، وعلى رأي أبي القاسم سعد الله" فإن أغلب إنتاج الجزائر العلمي في هذه الفترة ينحصر في هذه العلوم ،باعتبار القرآن والحديث المعرفة التي يستمد منها الجزائريون كلّ ألوان تفكيرهم[1].

ومن المصنّفات العلمية والمصادر المعرفية التي حظيت باهتمام الطلبة والشيوخ على حد سواء وتناولوها بالدرس والتحليل في هذه الفترة من العهد العثماني وإلى غاية القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين صحيح البخاري في الحديث، ومختصر خليل ورسالة أبي زيد القيرواني في الفقه، ونظم ابن العاصم في الأحكام، وألفية بن مالك في النحو ولاميتة في الصرف، وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني في البلاغة، ومختصر الشيخ السنوسي في العقيدة، وكتاب الشفا للقاضي عياض في السيرة، والفتوحات المكية لابن عربي ورسالة عبد الكريم القشيري في التصوف.

وقد كان الطالب يلازم شيوخه سنوات يحضر الجلسات ويشارك في الحلقات، ويحظى بعد عودته إلى بلاده بإجازة كبيان يثبت به أنه درس على علماء أجلاء وأنه جاوز مرحلة التحصيل. ثم إن هذه الإجازة تؤهل حاملها كي يلقّن غيره من الطلبة المعارف على الوجه الذي تلقّاها بها. وإن هذا النوع من الإجازات له أهمية لكونها تصور المناخ الثقافي في عهد المجيزين والمجازين، وكثير ما يركّز في الإجازة على المستوى العلمي الذي بلغه المُجاز[2].

ثم إن هذه العلوم الشرعية – كما يشير سعد الله – تميّزت بالتقليد والتكرار والحفظ، ولهذا لم يكن مسار الحركة العلمية في نظره يسير في اتجاهه العلمي الصحيح،

([1]) انظر سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي:2 /9.

([2]) انظر ناصر الدين سعيدوني، والشيخ المهدي البوعبدلي (ت1992م الجزائر في التاريخ " العهد العثماني"، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.، 4 /159.

كما ظل الاهتمام بالعلوم النقلية أولى من الاهتمام بالعلوم العقلية[1]. ويقول الورثيلاني بشأن الاهتمام بالمنقول على حساب المعقول:" وأما علم الكلام والمنطق فمنعدم في محلّهم رأسا"[2]. غير أن عبد الرحمن الأخضري يعتبر أول من حطّم هذه القاعدة خلال القرن العاشر، فيعتبر أبرز من ألف في المنطق وعلم الكلام والحساب، وكانت مصنفاته العلمية هذه موضع اهتمام في الشرق والمغرب.

وعلى الرغم – كما ذكرنا - من عدم اهتمام الأتراك بالثقافة في جميع الأقطار التي سيطروا عليها، إلا أن هذا لم يمنع من ازدهار نسبي للمعرفة، وذلك بوجود مدن وحواضر حافظت على ثقافتها وتمسكت بالتراث الفكري، كحاضرة قسنطينة التي اكتسبت شهرة علمية يقول بشأنها سعد الله:" لا تضاهيها في شهرتها سوى شهرة فاس والقاهرة " ومن أشهر علمائها عائلة الفكون وابن البجاوي وعائلة باش تارزي .

أما تلمسان فتراجعت سمعتها خلاف ما كانت عليه في القرن التاسع، وذلك للخلاف الحاصل بين الأتراك وبني عبد الواد، فتدهورت عاصمة الزيانيين سياسياً واجتماعياً وثقافياً مع مطلع القرن العاشر، مما أدى بالكثير من عائلاتها إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى[3] كعائلة الونشريسي[4] وعائلة المقّري [5].

أما بسكرة – حاضرة الأخضري – فكانت هي الأخرى من ضمن الحواضر العلمية التي لا تقلّ شأنا عن بقية الحواضر في القطر الجزائري، فقد اكتسبت شهرة علمية ودينية، اشتهرت بضريح سيدي عقبة، وضريح سيدي خالد وزاوية الأخضري، وجامع أولاد جلال، وبهذا الوصف وصفها العياشي في رحلته حيث أنه زارها وزار زاوية الأخضري وبين أنها مدينة علم إشعاع معرفي [6]،كما وصفها الزياني بقوله:" هي من أحسن المدن

([1]) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي:2 /9.

([2]) انظر الحسين بن أحمد الورثيلاني (ت1193هـ)، "نزهة الأنظار في معرفة التاريخ والأخبار"، ،تصحيح محمد بن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية الجزائر1908. :118.

([3]) انظر عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية- فيما بين القرنيين التاسع والعشرين الميلاديين-" فيما يتعلق بهجرة الجزائريين إلى المغرب الأقصى وغيرها من البلدان الاسلامية . ديوان المطبوعات الجامعية 1995

([4]) ومنهم أحمد بن يحي الونشريسي(ت914ه)، وابنه عبد الواحد الونشريسي(ت 955).

([5]) ومنهم سعيد المقري(ت955ه)، وابن أخيه أحمد المقري (ت 1041ه).انظر هذا بالتفصيل في كتاب مدينة تلمسان عاصمة الغرب الأوسط ليحي بوعزيز:237.،

([6]) عبد الله بن محمد العياشي (ق11هـ)- الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسماة، "ماء الموائد"، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي دار السويدي للنشر والتوزيع الامارات العربية المتحدة 2006. " :2 /542.

لكثرة مرافقها وخصبها وتوسّطها بين التلّ والصحراء، وبها مساجد معتبرة البناء"[1]. فهذه الحواضر وغيرها من الحواضر الأخرى كبجاية والمدية وعنابة ووهران ومازونة ومعسكر، فقد ازدهر العلم في هذه الحواضر، ونبغ فيها رجال فكر وأدب، وكانت غنيّة غِنىً هائلا بالإنتاج الأدبي والثقافي والعلمي.كما ظهر في هذا العصر عدد من العلماء تحركت بهم الحياة العلمية، ونهضوا بالتأليف والتدريس، ولمعوا في مختلف العلوم، نذكر منهم على سبيل المثال طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني، فقيه صوفي أخذ عن أحمد زروق، وعن ولده أحمد زروق الصغير، ترك مصنفات منها " النزهة في معاني كلمة التوحيد" و" رسالة القصد إلى الله في التصوف" توفي سنة 950هـ[2]. وأبو السادات محمد بن يحي المديوني، فقيه تتلمذ عليه سعيد المقّري عم أحمد المقري صاحب نفح الطيب وتتلمذ عليه علي العطافي، توفي بعد سنة 950هـ[3] وأبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي[4]، فقيه مالكي، اشتغل بالنحو والأدب أخذ الفقه عن أبيه، تولى القضاء وخطّة الإفتاء، من مؤلفاته نظم قواعد أبيه، المسمى" إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك" وله أيضا شرح على ابن الحاجب الفرعي توفي سنة955هـ[5] ومصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي، فقيه في المذهب الحنفي وشاعر، نشأ بقسنطينة وتولى بها الفتوى ثم القضاء ثم الخطابة، من مؤلفاته" حرية المقال في جواز الانتقال" و" رسالة في الوقف على المذهب الحنفي" و" شرح منظومة الثعالبي في الحساب"، توفي سنة 980هـ[6]. وأبو عبد الله محمد بن شقرون بن هبة الله الجديجي الملقب بمالك الصغير نزيل فاس، تولى الإفتاء بتلمسان، له مشاركة في الحساب والفرائض والمنطق والبيان والتفسير، رحل إلى فاس سنة 968 هـ وتوفي سنة 983هـ [7].ومحمد بن الحاج المكنّى أمزيان، كان إماما وفقيها، وكان حافظا لمختصر بن الحاجب الفرعي ولرسالة أبي زيد القيرواني ولألفية ابن

([1])أبو القاسم الزياني (1833م) رحلة الزياني، "الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا"، تحقيق عبد الكريم الفيلالي دار نشر المعرفة الرباط 1991:151.

([2]) انظر ترجمته في تعريف الخلف:199/2.ومعجم المؤلفين:35/5. ومعجم أعلام الجزائر:80.

([3]) انظر ترجمته في البستان:261.

([4]).انظر ترجمته في الأعلام :256/1. ومعجم أعلام الجزائر :49.

([5]) انظر ترجمته في معجم أعلام الجزائر :108.

([6]) انظر ترجمته في الأعلام:7 /33.ومعجم أعلام الجزائر:193. وتاريخ الجزائر العام:3 /109.

([7]). انظر ابن مريم (ت بعد 1014هـ) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية الجزائر 1908. 261 . وتعريف الخلف:2 /491 . ومعجم أعلام الجزائر:183.

وللأجرومية، أخذ الفقه عن أبي السادات بن يحي المديوني، توفي سنة 964هـ[1]. وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني، من أهل تلمسان كان فقيها ومفتيا وخطيبا ومدرّسا للفقه والعقائد، سكن فاس وولي الإفتاء بها إلى أن توفي سنة 981هـ[2]. وأبو محمد البركات المسبح القسنطيني[3]، كان صاحب معرفة ودراية وكان مشتغلا بالقراءة والإقراء والعكوف على الدرس والتدريس، توفي سنة 982 هـ[4].إضافة إلى شيخه محمد بن علي الخربي الطرابلسي المتوفى سنة 963هـ، وشيخه عمر بن محمد الوزان القسنطيني المتوفى سنة 960هـ[5].وهؤلاء ممن نستطيع عدّهم ضمن الذين نهضوا بالتأليف في مختلف الفنون والعلوم خلال الفترة التي عاشها الأخضري من القرن العاشر الهجري، ومن العلماء الذين عاصروه وعرفت الجزائر بفضلهم حركة علمية مزدهرة. وممن نهضوا بالتأليف في مجال علوم البلاغة نذكر منهم عبد الله بن أبي القاسم في شرحه لقصيدة "الحليّ" شرحا بلاغيا أسماه "أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي"، ومحمد بن محمود بن العنابي، له كتاب في البلاغة أسماه "التحقيقات الإعجازية بشرح نظم العلاقات المجازية"، وعلي بن عبد القادر الذي له "حاشية على مختصر السعد"[6].

4. شيوخه وتلاميذه

4. 1: شيوخه:

ومن شيوخه والده الشيخ محمد الصغيّر، فقد كان عالما في عصره كما أسلفنا وهو أحد تلاميذ الشيخ أحمد زروق، أخذ عنه ابنه الأخضري مبادئ علم الحساب والفرائض مشافهة فتمكن بعد استيعابها من نظمها في متن أسماه "الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء" ،وأخوه أحمد بن محمد الصغيّر، وهو أكبر إخوته، استفاد منه

([1]) انظر ترجمته في البستان:264.

([2]) انظر ترجمته في معجم أعلام الجزائر:155.

([3]) هو الأخ الأصغر لعبد اللطيف المسبح(ت980هـ)، شارح الدرة البيضاء ومختصر العبادات للأخضري، وأخو أبي العباس أحمد المسبح، المسمى حميدة المسبح (ت981هـ)، وأشار إليهم عبد الكريم الفكون بقوله:" وكان الإخوة الثلاثةممن لهم محبة خالصةفي جانب جدّي عبد الكريم بن يحي الفكون، وكانوا يقفون عند أقواله معتقدين في آرائه" انظر منشور الهداية:47.

([4]) انظر ترجمته في منشور الهداية:47.وفي تعريف الخلف:2 /108.

([5]) سنذكر ترجمتها ضمن الحديث عن شيوخ الأخضري.

([6]) أي مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح.

الأخضري كثيرا بعد وفاة والده، والشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي[1] المتوفى سنة 963 هـ، فقيه ومحدث وصوفي ولد بقرية قراقاش من قرى طرابلس الغرب بليبيا، نشأ بالجزائر وفي سنة 959 هـ دخل المغرب الأقصى سفيرا بين سلطان آل عثمان وبن أبي عبد الله المهدي الحسني، تتلمذ على الشيخ أحمد زروق، ولمّا مرّ بالزاب قاصدا أداء فريضة الحج لقيه الأخضري واستفاد منه وأخذ عنه ورد الطريقة الشاذلية والزروقية، من مؤلفاته" رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس" و" الأنس في التنبيه عن عيوب النفس" و"مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس" يقول عنه أبو القاسم سعد الله "لو لم يكن للخروبي من التلاميذ غير عبد الرحمن الأخضري لكفاه"[2] ،والشيخ عبد الرحمن بن القرون[3] أحد مرابطي قرية ليشانة الواقعة على مقربة من مدينة طولقة، استفاد منه الأخضري كثيرا، والشيخ عمر بن محمد الكمّاد المعروف بالوزان[4]، المتوفي سنة 960هـ ،كان من أبرز علماء قسنطينة، فقيه وصوفي وعالم في المعقول والمنقول، من تآليفه" البضاعة المزجاة" وله حاشية على صغرى السنوسي، أخذ عنه عبد الكريم الفكون (الجد) وأخذ عنه أيضا أبو الطيب البسكري، ويعتبر الوزان أيضا من أكبر شيوخ الأخضري الذي طالت مدّة تدريسه عنده، قال عنه عبد الكريم (الحفيد) صاحب منشور الهداية:" كان ممن تشدّ له الرحال في طلب العلم، وممن يقتفى بأقواله وأفعاله"[5].

2 . 4 : تلاميذه:

أما تلاميذه فمنهم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون.[6]، توفي سنة 988 هـ، والمقصود به الجد وليس الحفيد[7] من أهل قسنطينة، كان عاكفا على القراءة

([1]) انظر حاجي خليفة (ت1067هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت 1994. 194/6.و الحفناوي في تعريف الخلف:489/2.و عادل نويهض في معجم أعلام الجزائر:167.و عبد الرحمن الجيلالي في تاريخ الجزائر العـام:107/3). وأشار إليه محمد بن عبد الكريم على هامش تحقيقه للتحفة المرضية :14.

([2]) سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي:2 / 500.

([3]) لم أعثر على ترجمة لحياته. أشار إليه أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي:1/ 501.

([4]) وردت ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف :283. وتعريف الخلف للحفناوي:1 /87.وأعلام الجزائر لنويهض:342.

([5]) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية:35.

([6]) انظر ترجمته في أعلام الجزائر:254 وشجرة النور الزكية: 309.

([7]) لأن الحفيد ولد سنة 988هـ، أي بعد أربعة أشهر تقريبا من وفاة جده.. والأخضري كما هو معلوم على أصح الروايات أنه توفي سنة 983هـ. ولذا فليس المقصود عبد الكريم الفكون الحفيد صاحب منشور الهداية.

والتدريس، وحافظا للحديث، تولى الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم لقسنطينة، عرف عنه المواظبة على الذكر وقيام الليل كما أشار إلى ذلك حفيده في منشور الهداية، له دراية بعلم البيان وتدريس شرح المطول لسعد الدين التفتازاني، تتلمذ على يد الشيخ عمر الوزان إلا أنه كان أصغر تلاميذه، ومن شيوخه علي المرواني ويحي بن سليمان وكلاهما من تلاميذ عمر الوزان، وأبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة[1]. توفي سنة 1066هـ، تونسي الأصل، جزائري المولد والمنشأ، من عائلة اشتهرت بالعلم وتولت الإفتاء المالكي بالجزائر، تولى الفتوى بعد وفاة والده، درَس على يد محمد بن علي أبهلول[2] رحل بعدها إلى تلمسان، وتلقى على أبي عثمان سعيد المقّري، ثم عاد إلى الجزائر وتولى التدريس والخطابة بالجامع الأعظم بالجزائر، ورّث هذا لأبنائه من بعده، أخذ عنه العلم ولده محمد بن سعيد قدورة المتوفي سنة1104هـ، من مؤلفاته شرح السلم لشيخه للأخضري، وشرح على صغرى السنوسي، وشرح على المنظومة الخزرجية في علم العروض، وشرح على جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني، وأبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي [3]، أحد أبرز تلاميذ الأخضري، وأحد شراح منظومته "السراج في علم الفلك"، كما قام بتخميس قصيدة الأخضري في مدح خالد بن سنان العبسي.

وقد استبعد أبو القاسم سعد الله أن يكون عبد الكريم الفكون (الجد)[4] وسعيد قدورة [5] من تلاميذ الأخضري، لأن المشهور في اعتقاده أن الأخضري توفي سنة (953 هـ)، كما أن كل من سعيد قدورة وعبد الكريم الفكون حسب اعتقاده أيضا أنهما عاشا في أواخر القرن العاشر، ومن ثم استبعد أن يكونا من تلاميذ الأخضري اعتمادا على الفارق الزمني بينهما، وبالنظر إلى سنة وفاتهما[6].

([1]) وردت ترجمته في منشور الهداية:47. وشجرة النور الزكية: 309. وتعريف الخلف:1 /66 وأعلام الجزائر:259 .

([2]) هو الإمام العالم الزاهد محمد بنعلي أبهلول المهاجي(945هـ – 1002هـ) وردت أخباره في تعريف الخلف:2 /442.

([3]) وردت ترجمته في تعريف الخلف:199. ومعجم الأعلام: 72.

([4]) هذا إذا تعلق الأمر بعبد الكريم الفكون الحفيد المتوفي سنة 1073هـ.

([5]) قدورة أسرة أنجبت عددا من العلماء والأدباء، وقد يكون المقصود سعيد بن إبراهيم المتوفي سنة 1030 والد أبو عثمان سعيد قدورة، غير أنه لا يستبعد أيضا أن يكون الإبن المتوفي سنة 1066هـ، هو تلميذ الأخضري والإشكال يعود فقط في سنة ولادته التي تبقى مجهولة في كل المصادر.

([6]) تاريخ الجزائر الثقافي:2 /252.

5. مصنفاته

1.5: مصنفاته العلمية:

تزيد مؤلفاته عن العشرين مؤلفا بين متن وشرح، أو تربو على الثلاثين كما جاء في مقال للمهدي البوعبدلي[1]، منها ما هو مطبوع طبعات قديمة أو حديثة، ومنها ما هو مخطوط ينتظر الطبع، ومنها ما تعرض للضياع والتلف، وأكثر هذه المؤلفات ألف الأخضري جلّها كما سبق الذكر مع بداية حياته وفي مقتبل عمره، ومنها **الجوهر المكنون في ثلاثة فنون** وهو متن في علوم البلاغة من بحر الرجز، يقع في مائتين وواحد وتسعين 291 بيتا، وعليه شروح منها شرح صاحبه، وهو شرح مفيد، وهو شرح قمت بتحقيقه، **والسراج في الهيئة** [2]: وهو نظم من بحر الطويل موضوعه علم الفلك، نظمه سنة (939ه) وهو ابن تسع عشرة سنة، وقد قام بشرح هذا النظم تلميذه عبد العزيز بن أحمد بن المسلم، وهو شرح نادر الوجود، وقد قام بشرحه أيضا سحنون بن عثمان الميدوي الونشريسي المسمى " مفيد المحتاج في شرح السراج"[3] **والدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء:** [4] أرجوزة في علمي الفرائض والحساب نظمها سنة (940ه) وهو ابن عشرين سنة يوم كان تلميذا على يد والده، وقال صاحب كشف الظنون:"فرغ من نظمها في شهر رمضان 947ه[5]، وهي نظم يحتوي على خمسمائة (500) بيت، وقد قسمها ثلاثة أقسام، الأول في الحساب، والثاني في الفرائض، والثالث في تصحيح الفروض وتوضيح القسمة العلمية للتركات. بدأ المؤلف بشرحها غير أنها سرقت منه، ثم أعيدت إليه فشرح منها القسم الثاني فقط[6]، وأتم شرحها عبد اللطيف بن المسبح (ت 980ه). منها نسختان بالمكتبة الوطنية، الأولى تحمل رقم 309 تحتوي على النظم فقط، والثانية تحمل رقم 1330 تحتوي على النظم مع شرح الجزء الأخير[7]. وقد طبعت مع الشرح سنة 1325ه في مطبعة التقدم مع حاشية لعبد المنعم الدمنهوري، وحاشية

([1]) مجلة الأصالة : 26عدد (53) جانفي 1978 .

([2]) يوجد لهذا النظم نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية تحمل رقم 1451.

([3]) وهو مطبوع في القاهرة سنة 1314ه.

([4]) جزء منها ضمن مجموع مهمات المتون:225 بعنوان "رسالة في الحساب".

([5]) كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة:1 /565. وذكر هذا الورثيلاني في رحلته :87.

([6])تاريخ الجزائر الثقافي:2 /86.

([7]) الشيخ بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث:194/2.

أخرى لعبد الله بن محمد الدرناوي. **وأزهر المطالب في علم الإسطرلاب**[1] في هيئة الأفلاك والكواكب: وهي أرجوزة نظمها سنة (940هـ) وهو ابن عشرين سنة، **وشرح السنوسية:** وهو كتاب في شرح لصغرى السنوسي في العقيدة ،وتسمى أيضا بأم البراهين. منها نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية تحمل رقم 1426 ناسخة بلقاسم بن عيسى بن أحمد بن عبد المنعم بن إبراهيم البوسعادي سنة 1024هـ **والسلم المرونق:** وهو متن في علم المنطق من بحر الرجز نظمه سنة (941هـ) وهو ابن إحدى وعشرين سنة ويحتوي على مائة وثلاث وأربعين (143) بيتا. توجد عدة نسخ مخطوطة منه في المكتبة الوطنية، نسخة تحمل رقم 137، وأخرى تحمل رقم 394، وأخرى تحمل رقم 1412[2]، وهناك نسخة بالمكتبة السليمانية بإسطنبول، تاريخ النسخ 1161[3]، وهذا النظم مطبوع ضمن مجموع مهمات المتون (ص262).وهو مطبوع في القاهرة،[4] ومنه عدّة نسخ في الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة، وقد طبع بالجزائر مترجما إلى الفرنسية سنة 1921م. كان من المقررات برامج التعليم في الأزهر . وله عليها شرح يقول في مقدمته: "فلمّا وضعت الأرجوزة المسماة بالسلم المرونق، وجاءت بحمد الله جملة كافية، ولمقاصد من فنّها حاوية، راودني بعض الإخوان من الطلبة أكرمهم الله المرة بعد المرة، أن أضع عليها شرحا مفيدا يبث ما انطوت عليه من المعاني، ويشيد ما تقاصر فيها من المباني، فأجبته لذلك طالبا من الله تعالى حسن التوفيق إلى مهايع التحقيق"[5].وإضافة إلى شرح الأخضري لنظمه هناك شروح منها: شرح تلميذه أبو سعيد إبراهيم قدورة (ت1066هـ) وشرح الشيخ أبو عبد الله بن خليفة (ت 1094هـ)، وشرح الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن يوسف الدمنهوري (ت1192هـ) المسمى "إيضاح المبهم في معاني السلم، وشرح أبو عبد الله محمد الصالح بن سليمان العيسوي الزواوي (ت1243هـ) وشرح الحسن الدرويش القويسني (ت1254هـ) وعلى هامشه تقارير للشيخ عمر خطاب الدوري وشرح الشيخ محمد أبو راس المعسكري الناصري (ت1264هـ) المسمى "القول المسلم في شرح السلم"شرح لأحمد عبد الفتاح بن يوسف المجيري.**ومنظومة في قواعد الإعراب على**

([1]) الإسطرلاب آلة رصد قديمة لقياس مواقع الكواكب وساعات الليل والنهار وحل شتى القضايا الفلكية ،وهو على أشكال مختلفة.

([2]) عبد القادر أوقاسي "مخطوطات المؤلفين الجزائريين بالمكتبة الوطنية" فهرس فانيان دراسة تحليلية (مخطوط) :327.

([3]) محمد بن عبد الكريم "مخطوطات جزائرية في مكتبة اسطمبول" :158.

([4]) وقد أطلعني على ذلك الأستاذ الدكتور حبار أستاذ البلاغة والنقد بجامعة وهران .سنة 1994م.

([5]) شرح السلم المرونق للأخضري:20.

كتاب مغني اللبيب لم تتعرض لها جل المصادر وتكاد تكون مجهولة[1] . **والدرة البهية في نظم الأجرومية:** وهي نظم للأجرومية في النحو، نظمها سنة981 هـ وعدد أبياتها مائة وسبعون (170) بيتا، وهي تكاد تكون مجهولة، وقد تعرض لها المهدي البوعبدلي في تصحيحه لسنة وفاته بعدما ذكر أنه توفي سنة 953هـ[2].وهناك نظم للأجرومية للشيخ العمريطي[3](ت970هـ) أسماه أيضا الدرة البهية في نظم الأجرومية، **وشرح على ألفية ابن معطي**: وهو شرح نادر اطلع عليه أبو القاسم سعد الله وأشار إليه [4] . **والفريدة الغراء** وهي نظم في العقيدة نادر الوجود، نسخة منه موجودة في خزانة عبد الرحمن الجيلالي كما ذكر هو ذلك. **والقدسية** وهي نظم في آداب السلوك، وتسمى المنظومة القدسية في طريق السنة، نظمها سنة (944هـ) وهو ابن أربع وعشرين سنة، وتحتوي على ستة وأربعين وثلاثة مائة (346) بيت. يتعرض فيها إلى المسائل المتعلقة بالتصوف من مجاهدات وكيفية تطهير النفس والروح، مبينا أوضاع المجتمع باتباعه للبدع والخرافات، منتقدا فيها متصوفة زمانه وقد تأثر بها عبد الكريم الفكون واستشهد أبياتها في كتابه منشور الهداية، ويقول بشأنها الورثيلاني في رحلته له:" له قصائد عديدة في التصوف أعظمها القدسية " [5].توجد منها نسخة بالمكتبة الوطنية تحمل رقم 946[6]، ونسخة أخرى بالمكتبة السليمانية بإسطنبول تحمل رقم 3706[7]، وطبعت القدسية بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة 1345هـ ولم يتعرض الأخضري لشرحها، يقول أبو القاسم سعد الله "لا نعرف أن الأخضري قد شرحها رغم شهرته بشرح منظوماته بنفسه"[8]. وممن تعرض لشرحها الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورتيلاني (ت1193هـ)، المسمى "الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ

([1]) هذا ما أشار إليه عبد الرحمن تيبرماسين في أطروحته "عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره":72.وقال توجد منه نسخة بالمكتبة الأحمدية،خزانة جامع الزيتونة.

([2]) مجلة الأصالة :25 عدد 53 جانفي 1978. وقد ورد ذكر ذلك بالتفصيل أثناء الحديث عن وفاته.

([3]) انظر إبراهيم البيجوري فتح رب البرية على الدرة البهية في نظم الأجرومية، طبعة مصطفى البابي الحلبي 1343هـ.

[4] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي:162/2 يوجد مخطوطا في المكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 8315، وبالمكتبة الوطنية تحت رقم2669. انظر شجرة النور الزكية 285، وفهرست معلمة التراث الجزائري :343/2.

([5]) انظر الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" الرحلة الورثيلانية":87.

([6]) انظر الأستاذ عبد القادر أوقاسي "مخطوطات المؤلفين الجزائريين بالمكتبة الوطنية" :343.

([7]) انظر محمد بن عبد الكريم "مخطوطات جزائرية في مكتبات اسطمبول :59.

([8]) سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي:130/2.

القدسية"والمولود بن محمد بن عمر الزريبي (ت 1344هـ)، والشيخ الحسين بن مصباح المسمى " تحفة المستمع والقاري في شرح قدسية الأخضري" **ومختصر في فقه العبادات:** وهو متن اشتهر باسمه "مختصر الأخضري"، يتعرض فيه للطهارة وأقسامها، وللصلاة وفرائضها وشروطها، ويختمه بباب السهو، وهو على فقه الإمام مالك. ومنه نسختان بالمكتبة الوطنية الأولى تحمل رقم 2146، والثانية تحمل رقم 399[1]، وقد طبع متنا بالجزائر عام 1324هـ[2].وتوجد منه نسخة بخزانة سيدي يوسف بمراكش تحمل رقم 360[3]وعليه شروح منها، شرح عبد اللطيف المسبح المسمى "عمدة البيان في فروض الأعيان" ،وشرح عبد الكريم الفكون "تلميذ الأخضري المسمى "الدرر على المختصر[4]. وشرح صالح عبد السميع الأبي الأزهري المسمى "هداية المتعبد السالك شرح مختصر الأخضري في مذهب الإمام مالك" وشرح أحمد بن محمد بن يعقوب، وهو شرح لطيف ناسخه ابراهيم بن محمد الزقاق سنة 1160هـ.[5] ونظَم باب السهو من هذا التأليف الشيخ عبد الله بن محمد بن آب، في مائة وتسعة وخمسين (159) بيتا، سماه "العبقري في نظم سهو الأخضري"[6] **ورسالة في التحذير من البدع** لم تتعرض المصادر إلى ما تضمنته، وقد أشار إليها عادل نويهض في معجم أعلام الجزائر، وصاحب تعريف الخلف برجال السلف، والشطوطي في كتابه الشيخ عبد الرحمن الأخضري "الكاشف والمنطقي"، وقد تكون هذه الرسالة جزء من منظومته القدسية.

2. 5 مصنّفاته الأدبية:

لقد ترك الأخضري مجموعة قصائد شعرية لكن جلّها تعرض للضياع وبعضها لا يزال حبيس المكتبات، ولم أعثر على شعره إلا ما أوردته بعض المصادر بالنزر القليل،

([1]) اطلعت عليها بالمكتبة الوطنية، وذكرها عبد القادر أوقاسي في أطروحته " "مخطوطات المؤلفين الجزائريين":346.

([2]) انظر"معجم المطبوعات العربية والمعربة" لإليان سركيس:407/1، وطبع في المطبعة التونسية سنة 1329هـ. وفي دار الكتاب اللبناني بيروت مع ترجمة باللغة الفرنسية سنة 1983.

([3]) الشيخ بشير ضيف فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، واقع التراث الجزائري الأصيل بين المعلوم والمجهول، مراجعة وتقديم عثمان بدري، منشورات ثالة الأبيار الجزائر الطبعة الأولى 2002. 35/1.

([4]) اطلعت على مخطوطة بنفس العنوان " الدرر على المختصر" هي لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري وهو شرح على مختصر السنوسية ذكره مؤلفه في رحلته المسماة" لسان المقال في النبأ على النسب والحال- رحلة ابن حمادوش"، (ت1197هـ) ،تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1983. 119/114/89.

([5]) أشار إليه الدكتور مختار بوعناني في مقال له بعنوان:" فهرس المخطوطات: 144.انظر مجلة الثقافة العدد:118/117 عدد خاص بالمخطوطات لسنة 1999.

([6]) عندي نسخة منه، يقول فيه : برجز سميته وهو حري بالعبقري في نظم سهو الأخضري

وما قدمه عبد الرحمان تبرماسين في تحقيقه لبعض أشعاره في آخر أطروحته لنيل شهادة الماجستير[1] .غير أنه يغلُب على شعر الأخضري طابع الشعر التعليمي، يقول محمد الطمار:"شعر الأخضري لا يخاطب وجدانا، بل استخدمه للمعاني العلمية، فنجد فيه الحقيقة تسبق الخيال، والطبع يغلب التصنع، والجزالة في غير ضعف ولا غرابة[2]. ومن شعره الذي وصل إلينا **اللامية في مدح خالد بن سنان**[3] وهي قصيدة من بحر البسيط تقع في أربعين(40)[4] بيتا يقول في مستهلّها

سر يا خليلي إلى رسم شغفت به ** طوبى لزائر ذاك الرسم والطلل
خلت مشاهـــــده عزّت دوائره ** ما خاب زائره في الصبح والأصل
يلقى الجواهــر من يغشى مناكبه ** يعطى الكرامة من يأتيه ذا وجل

وإلى أن يقول في التنويه بقبر خالد بن سنان :

هذا مقام عليه الناس قد غفلوا ** إذ حل بين بلاد السود فامتثلِ
هذا مقام رفيع الشأن قد شهدت ** به الدلائل هذا الأمر فيه جلي
هذا نبيّ بلاد العرب حلّ بها ** وماله في بلاد العرب من مثل

إلى أن يقول في إثبات نبوة خالد بن سنان:

إن النبوة قد لاحت شواهدها ** كيف المحالة والأنوار لم تزل
في خالد بن سنان البدر سيدنا ** أخصه بسلام رائق حفِل

وتذكر المصادر أنه شاهد نورا صاعدا من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال، وأخبر أنه قبر خالد بن سنان ونوّه بنبوته، واستبعد العياشي أن يكون خالد بن سنان مدفونا بهذا المكان، لأن الأخبار المذكورة في كتب السيّر تأبى ذلك[5]، ويشير إلى أنه قد ورد في بعض الأخبار أنهم لم يدفنوه وأنهم حملوه على ظهر ناقة فذهبت به، ويقول العيّاشي :" إذا كان – أي الأخضري- أطلع على ذلك من كشفه فيّسلّم له فإنه أهلٌ لذلك، ورأينا في

(1) عبد الرحمن تبرماسين، عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره،، بحث مقدم لنيل الماجستير في الأدب العربي القديم، إشراف العربي دحو، جامعة باتنة1991. (مخطوطة) نوقشت سنة 1991، بجامعة باتنة.

(2) محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري :292

(3) توجد منها نسخة في المكتبة الوطنية تحمل رقم 1799، وأطّلعت على نسخة منها في خزانة الشيخ محمودي البشير، وليس عليها اسم الناسخ.

(4) وقد قام بتخميسها تلميذه أبو العباس عبد العزيز بن مسلم .

(5) في اختلاف الروايات انظر فصوص الحكم :213، مع تعليق لأبي العلاء عفيفي على فصوص الحكم في آخر الكتاب:317.

بلاد المشرق لمشاهد متعددة من قبور الأنبياء والأولياء أظهرها أهل الكشف الصادق"[1]، واعتمد الزياني في رحلته[2] على نفس الرواية نقلا عن العياشي. وقال الورثيلاني:" وقد أظهر قبر خالد بن سنان بطريقتي الكشف التربيع"[3]. وهو الآن دفين البلدة المعروفة اليوم بسيدي خالد[4]، وهو من المزارات الشهيرة وعليه مسجد عظيم وحوله مدرسة[5].

وقد أورد عبد الله الركيبي في هامش كتابه "الشعر الديني الجزائري الحديث" مطلع هذه القصيدة وقال "الشاعر المذكور لم نعثر على سيرة لحياته[6]، كما أشار[7] إلى شاعرين تعرضا إلى مدح خالد بن سنان، الأولى للديسي يقول فيها :

إذا رمت أن يبقى لك العز خالدا ** فيمم نبي الله ذا المجد خالدا

نبي بلاد العرب من شاع ذكره ** فذاك الذي ما خيب الدهر قاصدا

والأخرى للعياشي التي اطلعت عليها في رحلته[8] فيقول: " وقد مدحت نبي الله خالد بن سنان لما مررت بهذا المشهد" يقول في مطلعها:

يا نبي الإله يا ابن سنان ** خالدا جد لخائف بأمان

مذنب يطلب السماح ويرجو ** نفحة تطلق الأسير العاني

قد أناخ ببابكـــم مستجيرا ** بجنابك من صروف الزمان

وخالد بن سنان هو من أهل الفترة بين عيسى عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال المسعودي "وقد كان بين المسيح ومحمد (ص) في الفترة جماعة من أهل التوحيد ممن يقرّ بالبعث، وقد اختلف الناس فيهم فمن الناس من رأى أنهم أنبياء ومنهم من رأى غير ذلك"، ويذكر المسعودي أن خالدا بن سنان واحد منهم، وقال هو من

([1])رحلة العياشي" ماء الموائد":543/2 .

([2]) رحلة الزياني المسماة الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ":150.

([3]) انظر الرحلة الورثيلانية :88 .كما أظهر نبوة خالد بن سنان أيضا أبو الخير بركات بن سعيد القسنطيني (ت942هـ) بوضعه لرسالة سماها "مفتاح البشارة في فضل الزيارة"، ورسالة أخرى لإبراهيم بن محمد العوامر السوفي (ت1353هـ) سماها "حد السنان في عنق المنكر لخالد بن سنان"

([4]) وهي حاليا بلدة تابعة لدائرة أولاد جلال ولاية بسكرة، وتبعد عن مقر الولاية ب حوالي 150 كلم.

([5])تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله:449/7..

([6]) عبد الله الركيبي (ت2011م)، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر الطبعة الأولى1981. 121.

([7]) المصدر السابق:121-122.

([8]) انظر رحلة العياشي :544/2.

ولد إسماعيل، ويعود نسبه إلى عبس بن بغيض إحدى القبائل العربية[1]. وفي الطبقات الكبرى لابن سعد، أن وفدا من بني عبس قدم على الرسول (ص) فقالوا له قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواش هي معاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهجرنا، فقال الرسول (ص) "اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتْكم من أعمالكم شيئا ولو كنتم بصمد وجازان"، وسألهم عن خالد بن سنان فقالوا لا عقب له، فقال "نبي ضيعه قومه" ثم أنشأ يحدث أصحابه حديث خالد بن سنان[2]. وإلى نفس الرواية يشير ابن الأثير كما يشير إلى معجزته التي كانت سببا في تفريقه للنار التي ظهرت في بلاد العرب حتى افتتن بها قومه وكادوا يتمجسون، ويشير إلى أن ابنته قدمت إلى النبي وآمنت به[3]. وفي مروج الذهب[4] قال لها الرسول (ص) "مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه". وورد ذكره في الفتوحات المكية [5].وورد في المؤنس "أن الملشوني[6] قال لم يدخل إفريقيا نبي قط، وأول من دخلها حواري عيسى عليه السلام واسمه متّى العشار، وقتل بقرطاجنة، وهو أول من كتب الإنجيل بلسان عبراني في زمن الفترة بعد رفع المسيح بتسع سنين، وقال غيره بل دخلها نبي الله خالد بن سنان العبسي، ولكن لم يدخلها بدعوة، وهو مدفون في المغرب في بلد بسكرة"[7].

واللامية في مدح الرسول (ص): وهي قصيدة طويلة من بحر المتدارك، يمدح فيها الأخضري الرسول (ص)، وتقع في اثنين وخمسين ومائة (152) بيت، يقول في بدايتها :

الله المقتـــدر الأزلي ** سبحانه جلّى عن المثل

([1]) انظر عمر رضا كحالة (ت1987م)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،، دار العلم للملايين بيروت .1968 . 2 /738، وقال من بين أيامهم داحس والغبراء ويوم الهباءة ويوم الجفر.

([2]) ابن سعد (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1980. 296/1.

([3]) عز الدين بن الأثير(ت630هـ)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1980. 219/1.

([4]) علي بن الحسين المسعودي(ت346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن، تحقيق وتعليق قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1989. 70/1.

([5]) محي الدين عبد الله ابن عربي الحاتمي(ت638هـ)، الفتوحات المكية دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1948. 5 /296.

([6])، انظر ترجمته في أعلام الجزائر لعادل نويهض: 314.

([7])- انظر ابن دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، (ت1110هـ)، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس، :22، وانظر ها البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب:52.

سبحانه جلّ هو الصمد ** الفرد الجبار الأزلي
لله الحمـــد على نعم ** منها الإرشاد إلى السبل

ويضمّن الأخضري هذه القصيدة إسراء الرسول (ص) ومعراجه، ويتحدث عن شفاعته، منوّها بمحاسنه وفضائله، ومشيرا إلى معجزاته، ثم يتطرق إلى أحوال النفس، وضرورة مخالفتها، واجتناب الغفلة ،والإسراع إلى التوبة، والاستعداد إلى لقاء الله، وفيها يقول :

ودع الدنيا وزخـرفها ** وحبائلها ذات الحيل
فازهد فيها واقصر أملا ** فمحبتها رأس الزلل
من آثرهـــا عن آخرة ** مأواه جهنم لم يحُل

وفي نهايتها يناجي ربه طالبا المغفرة مصليا عن النبي وصحابته فيقول :

يا رب عبيدك معتـــرف ** بالذنب وأوزار الثقل
ورجـــائي فيك يؤانسني ** مولاي من ذا غيرك لي
فاغفر لعبيدك ما اكتسبت ** يداه من سيء العمل
بنبيك أحمـــــد سيدنا ** أزكى الشفعاء لذا الزلل
صلـــــوات الله عليه تقى ** وسلاما ذا أرج حفل
و على الأبطال صحابته ** وأسود الحرب أولي النحل
و أبي بكر وأبي حفص ** وأبي عمر والليث علي
هذي كلمات مشرقة ** مشكاة الناس ذوي العمل
جزت بربيع الآخر من ** جمع حجج وقت المثل

والتائية النبوية: هي قصيدة من بحر الطويل تقع في ثلاثين (30) بيتا، يقول في بدايتها :

سرى طيف من أهوى فأرق مهجتي ** وما كدت أنجو من ضنائي وعبرتي
أيا لائمي في الحب إنك جاهل ** كأنك لا تدري بشأن المحبة
فهذا رحيق لو ظفرت بشربه ** تجرعت كأسا من كؤوس محبّتي
أنوح كما ناح الحمام بوكره ** وما حنّت الثكلى بوجد ولوعة

إلى أن يقول:

أهيم بشوق للحبيب محمد ** لعل إله العرش يكشف غمتي
نبي كريم جاء بالنور والهدى ** هدانا به المولى إلى خير ملّة
سلام على بدر شغفت بحبّه ** سلام عليه كل يوم وليلة

وجاء في ختامها:

هنيئا لمن أمسى بدار محمد ** لقد نال بالمختار أعظم رفعة
فصلى عليه الله خير صلاته ** وحيّاه مولانا بخير تحية
أيا خير خلق الله سيد الورى ** ويا خير مبعوث إلى خير أمة
فخذ بيدي يوم القيامة منقذا ** وكن لي شفيعا يوم تذهب حيلتي
فإنك عند الله أعظم شافع ** وإنك عند الله خير ذي خيرة
ويا قمرا بالله إن كنت طالعا ** على طيبة الزهراء دار الأحبة
فسلم على بدر تجلى بأرضها ** وبلّغ له حزني وشوقي ولوعتي

ونصيحة الشباب: وهي قصيدة من بحر الرجز تقع في أربع وعشرين(24) بيتا، ضمّنها نصائح موجهة إلى شباب عصره يحثهم فيها على التقوى والطاعة، والمبادرة بالتوبة والأعمال الصالحة. يبدؤها بقـوله:

أوصيكم يا معشر الشبان ** عليكم بطاعة الرّحمن
إياكم أن تهملوا أوقاتكم ** فتندموا يوما على ما فاتكم
فإنها غنيمة الإنســـان ** شبابه والخسر في التواني
ما أحسن الطاعة للشبان ** فاسعوا لتقوى الله يا إخوان
وعمّروا قلوبكم بالطاعهْ ** والذكر كلّ لحظة وساعهْ
فمن تفُتْه لحظة من عمره ** تكن عليه حسرة في قبره

ويقول في ختامها :

وصلّ يارب على المختار ** محمد شفيع أهل النار
ما هبّت الرياح في الأمطار ** وغرّد الحمام في الأوكار
مادام ملك الواحد القهار ** مصليّا على النبي المختار

قصيدة في ذكر الأولياء والصالحين: وهي أرجوزة تقع في خمس وثلاثين (35) بيتا، يقول في مستهلّها:

الحمد لله الذي قد خصصا ** أولي التقى من خلقه وأخلصا
جعلهم وعـــــاء للعلوم ** صيّرهم في الأرض كالنجوم
أخرجهم للأمـــر بالمعروف **ونهاهم عن ضده المألوف

يقول في ختامها:

تمت بحـمد الله ذي الأبيات ** في ذكـــر أوليائه السدات
ثم الصلاة على والسلام سرمدا ** على الرسول المصطفى محمدا

وآله الغرّ الكـــــرام الشرفا ** وصحبه أهل التقى والخلفا

6 . الخاتمة:

إن التراث الجزائري بما يحمله من معارف كثيرة ومتشعبة يتطلب بحثا جادا وممارسة ميدانية تأخذ الباحث إلى شتى الاتجاهات التي من خصائصها الارتكاز على قواعد المعرفة والتي غالبا ما تكون مبثوثة في العديد من المضان والكثير من المصادر المعرفية. ولما كان الاخضري بما تركه من تراث وما خلفه من كنوز علمية أحد اقطاب الاعلام في الجزائر كان السعي وراء مخلفاته امرا له من الضرورة ما يبيح لأي باحث ان يجتهد جادا وبكل ما اوتي من أدوات وما توفر لديه من وسائل منهجية لتقصي العلوم التي اكتنزتها مخطوطاته سواء تلك التي رأت النور ورفعت عنها الحجب أو تلك التي لا تزال رهينة الرفوف لم ينفض عنها الغبار بعد، وسعيا مني على رفع الغموض وكشف النقاب عن شخصية الاخضري وعن عصره حاولنا دراسة هذه الشخصية من الناحية التاريخية في خضم عصر عرف بخصائص حاول الاخضري أن يسايرها اجتماعيا وعلميا، ومن الناحية الفكرية للكشف عن زمن بجميع ما يحمله من تراكمات ثقافية والتي من شأنها ان أثرت فيه وجعلت منه مؤلفا فريدا في عصره، علما بفكره .

المراجع:

1. ياقوت الحموي(ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر بيروت 1984
2. محمد الشطوطي، الشيخ عبد الرحمن الأخضري الكاشف المنطقي، دار الرسالة للكتاب الجزائر 2001.
3. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة،(ت1987م) جمع وأخرج مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة بيروت 1993.
4. مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ،1981
5. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت، الطبعة الثالثة 1983
6. محمد الحفناوي (ت1943م) تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية 1985.:67/1.
7. محمد بن محمد مخلوف (ت1941م) شجرة النور الزكية، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى 1349هـ.
8. الشيخ مخلوف المنياوي حاشية على شرح الجوهر المكنون للدمنهوري، (ت1878م)، مطبعة التقدم العلمية مصر 1324هـ.
9. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي(2010 م)، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة بيروت الطبعة السادسة 1983.
10. محمد الطهار، تاريخ الأدب الجزائري الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981
11. عبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ) تاريخ ابن خلدون " العبر وديوان المبتدأ والخبر"، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر 2010
12. جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي(ت456هـ)، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت 1998.
13. عبد الكريم بن محمد الفكون(ت1073 هـ)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى الولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى .31.

14. الحسين بن أحمد الورثيلاني (ت1193هـ)، "نزهة الأنظار في معرفة التاريخ والأخبار"، ،تصحيح محمد بن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية الجزائر1908.

15. عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية- فيما بين القرنيين التاسع والعشرين الميلاديين-" فيما يتعلق بهجرة الجزائريين إلى المغرب الأقصى وغيرها من البلدان الإسلامية . ديوان المطبوعات الجامعية 1995

16. عبد الله بن محمد العياشي (ق11هـ)- الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسماة، "ماء الموائد"، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي دار السويدي للنشر والتوزيع الامارات العربية المتحدة 2006.

17. أبو القاسم الزياني (1833م) رحلة الزياني، "الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا"، تحقيق عبد الكريم الفيلالي دار نشر المعرفة الرباط

18. عبد الله الركيبي (ت2011م)، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر الطبعة الأولى1981.

19. عز الدين بن الأثير(ت630هـ)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1980.

20. علي بن الحسين المسعودي(ت346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن، تحقيق وتعليق قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1989.

21. محي الدين عبد الله ابن عربي الحاتمي(ت638هـ)، الفتوحات المكية دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1948.

22. ابن دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، (ت1110هـ)، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس، :22، وانظر ها البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب